اللغة العربية بين رُؤى ثلاثة
وحدة القومية العربية،و وحدة الأمّة الإسلامية والالتئام بينهما

د.سيد علي ميرلوحي و د.سيدة ريحانة ميرلوحي

الملخّص:

لقد اختار الله سبحانه وتعالى اللغة العربية لتبليغ الناس ما نزّله إلى الرسول الأ□رم(ص) من الوحي والقرآن فهذه اللغة منذ بزوغ فجر الإسلام ونزول القرآن ال□ريم بها حتّى عصرنا الحاضر ليست لغة الأم للأمّة العربية فحسبُ، بل تعتبر لغة □افة المسلمين في أنحاء العالم يدرسونها ويتعلّمونها وي□تبون بها حفظاً ل□لام الله ورسوله والأئمة والإفادة من النصوص الإسلامية في عصورها السالفة والغابرة، وعلى الرغم من هذا □لّه يوجد بين الأمّة العربية من المثقّفين من يرت□ز على العربية من المنظور القومي تار□اً وراءَه □لّ ما أعطاها القرآن ال□ريم و□لام الرسول(ص) والثقافة الإسلامية من المنزلة الرفيعة والدرجة المنيعة.

فهاتان رؤيتان إلى العربية؛ رؤية الأمّة الإسلامية ونظرتهم إليها □مر□ز للوحدة الإسلامية، بما أنّها لغة القرآن ولغة الثقافة والعلوم الإسلامية، ورؤية الأمة العربية إليها □لغة الأم يجب عليهم حفظها وصيانتها، ويشتر□ في هذه الرؤية من الأمّة العربية المسلمون منهم وغير المسلمين من معتنقي باقي الأديان.

وهنا□ رؤية ثالثة نحو اللغة العربية تعتقد بالالتئام بين المتعصبين لها □لغة الأم وبين المسلمين المعتقدين بأنّها لغة الإسلام والقرآن.

والباحثان في هذا المقال يعقبان هذه الرؤى الثلاثة معربَين عن نتائج □لّ منها مثمرة أو عواقب غير مرضية.

مقدّمة:

لاريبَ أنّ اللغة العربية من أحسن اللغات بل أحسن وأفضل اللغات العالمية المشهورة. وليسَ هذا ما ندّعية نحن المسلمين العرب وغير العرب؛ بل قد شهد به الأدباء و الألسنيون من □افّة أنحاء العالم من أمثال ال□اتب الاسباني «الوارو» في القرن التاسع الميلادي، وبيتر ار□ شاعر إيطاليا ال□بير في القرن الرابع عشر الميلادي والمستشرق الإيتالي نالينو وغيرهم □ثير. وبهذا الصدد يقول المستشرق الإمري□ي ويليام ورل: «اللغة العربية من اللين والمرونة ما يُم□ّنُها من الت□ييف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضي أمام أيّ لغة أخري» ويقول إرنست رينان:«من أغرب المدهشات أن تنبُت تل□ اللغة القوية وتصل إلي درجة ال□مال وسط الصحاري عند أمّة من الرحل تل□ اللغة الّتي فاقت أخواتها ب□ثرة مفرداتها ودقّة معانيها وحُسن نظام معانيها و□انت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم عُلِمت ظهرت لنا في حُلَل من ال□مال لدرجة أنّها لم تتغيّر أيّ تغيّر يُذ□ر، حتّي إنّها لم يُعرف لا في □لّ أطوار حياتها لا طفولة ولاشيخوخة، ولا ت□ادُ نعلمُ من شأنها إلّا فتوحاتها وانتصاراتها الّتي لاتباري، ولانعلمُ شبيهاً لهذه اللغة الّتي ظهرت للباحثين □املة من غير تدرّج، وبَقيَت محافظة علي □يانها من □لّ شائبة(التم□ينُ في اللغة العربية، مقالة:د. محمود السيّد، مجلّة مجمع اللغة العربية، دمشق، ج٨٣، الجزء الثاني، ص٣٠٨-٣٠٩).

و□انت الميزاتُ الّتي اختصّت بها اللغة العربية هي أحد أسباب نزول القرآن ال□ريم بها. وقد بيّن الله تعالي فضيلتها خلال الآيات القرآن، منها قوله تعالي:□نزل به روح الأمين علي قلب□ لت□ون من المنذرين بلسان عربي مبين□□ الشعراء ١٩٣:٢٦- ١٩٥□،

وقوله تعالي ﴿الر تل﴾ آيات ال﴿تاب المبين﴾﴿يوسف١٢: ١﴾ وآيات أخري، و﴿ما أنّ القرآن بمعانيها السامية و أسسه التربوية- هو الّذي أظهر سمة علوّ هذه اللغة وميزتها علي باقي اللغات؛ حيثُ استطاعت أن تبين وتُعرب عن بحر معارف القرآن الخضمّ، ﴿ما شاء الله تعالي في أخصر طريق وأقلّ لفظ مم﴿ن.

ولهذا يجب علينا ﴿أمّة إسلامية عربية وغير عربيّة أن نبذل قصاري جهودنا وغاية مساعينا للتعريف بهذه اللغة وبسط شموليتها بما تحمل في طيّاتها بحراً عميقاً و يمّاً وسيعاً من المعارف القرآنية والسنّة النبوية والمرويّات عن ائمّة الدّين وعلماء المسلمين والّتي مازالت وماتزالُ أسوة وقدوة سعادة الإنسان إلي يوم المعاد.

وبعد هذه المقدّمة القصيرة نعودُ إلي البدء ونبدأ ال﴿لام علي أنصار اللّغة العربية بين فريقين: فريق يعتقدُ بأنّها لغة أمّة العرب، ويُحبُّ حراستها وحفظها وتوسيع نطاقها من جهة أنّها لغة الشعوب العربية فحسب.

وفريق يعتقدُ بأنّها لغة الأمّة الإسلاميّة من العرب وغير العرب، ويجبُ حفظها وحراستها من جهة أنّها لغة القرآن الّذي يتلوه المسلمون آناء اللّيل وأطراف النهار. وبينَ هذين الفريقين يوجدُ فريقٌ ثالث يجمع الجهتين و يُؤدّي حقّ الفريقين ﴿ما سيقرع مسامع﴿م في السطور التّالية:

الفريق الأوّل: أنصار اللغة العربية من جهة العروبة فقط: فمن أبرزهم: العرب المسيحيون، فبما أنّهم لا يعتقدون بالدين الإسلامي الحنيف فقد أفرغ بعضهم مؤلفاتهم في حقل الأدب العربي لغة وصرفاً ونحواً وشعراً ونثراض من الشواهد القرآنية، وإن وَرَد في آثارهم نماذج منها فقد وردت دون نسبته إلي القرآن، وأحياناً حرّفوها بإدخال ﴿لمة أو حذف لفظ أو استبدال لفظ آخر بلفظ القرآن.

فمن هذه المؤلفات في الصرف والنحو: ﴿تاب مبادئ العربية للمعلّم رشيد الشرتوني، في أربعة أجزاء و قد طبع طبعات ﴿ثيرة في المطبعة ال﴿اثوليك﴿ية في بيروت. وفيما يلي نماذج من الشواهد القرآنية في ال﴿تاب المذ﴿ور دون نسبة إلي القرآن أو أحياناً مع تحريف الآية القرآنية بنقص أو زيادة:

ورد في ج١، ص٤٢ في تمارين بناء الأسماء وإعرابها الآية المبار﴿ة:﴿ تبار﴿ الّذي بيده المل﴿ُ وهو علي ﴿لّ شيء قدير﴾﴿الم﴿ل﴿٦٧: الآية١﴿، ورد هذه الآية دون نسبة إلي الله سبحانه أو إلي القرآن.

وفي ج٢، ص١٥٢ في البحث عن المفعول به وردت الآية المبار﴿ة ﴿إيّا﴿ نعبد﴿ إلي إيّا﴿ أعبد ﴿ذل﴿ دون نسبة إلي القرآن ال﴿ريم. وفي ج٣، ص١٤٧ في البحث عن الأفعال المتعدّية إلي ثلاثة مفاعيل يستشهد بقوله تعالي:﴿ ﴿ذل﴿ يُريهم الله أعالهم حسرات عليهم﴾﴿البقرة٢: ١٦٧﴿ مع حذف «﴿ذل﴿» من أول الآية و دون نسبة إلي الله تعالي أو القرآن.

وفي ج٤، أ﴿ثر المؤلف من الاستشهاد بالآي القرآنية دون نسبة إلي الله مع تحريف بعضها، منها:

في ص٣٠٦ في البحث عن وجوب تأخير الحال، قد حرّف قوله تعالي: ﴿وما نُرسل المرسَلين إلّا مبشّرينَ ومُنذرين﴾﴿الأنعام٦:٤٨، وال﴿هف١٨:٥٦﴿ إلي :وما نُرسِلُ الرُسلَ إلّا مبشّرين.

﴿قد سمع الله قول الّتي تُجادلُ﴿ في زوجها﴿ ﴿المجادلة٥٨: ١﴿ إلي: «قد سمع الله قول الّذي يُجادل﴿».

في ص٣٨٦ التمرين رقم١٩٨ قد حرّف قوله تعالي:﴿فَلينظُر أيُّها أز﴿ي طعاماً﴾﴿ال﴿هف١٨:١٩﴿ إلي: «فلينظروا أيّهما أز﴿ي طعاماً».وقد يأتي بالآية خطأً ضمن تمارين إصلاح الأخطاء، ﴿تحريف الآية المبار﴿ة ﴿ إن أدري أقريبٌ أم بعيدٌ ما توعدون﴿ ﴿الأنبياء٢١: ٥٩﴿ إلي «وما أدري أقريباً أم بعيداً ما توعدون»(مبادئ العربية،ج٤، ص٢٤٣، التمرين رقم١١٥).

(راجع لبقيّة المواضع: المرجع نفسه، ص١٤٠، ١٤٨، ١٨٤، ١٨١، ١٨٥، ١٨٦، ١٩١،١٨٨، ٢٠٦،٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠ ٩،٢١٤،٢٢٢،٢٢٤،٢٢٦،٢٢٧،٢٣٠،٢٣١ ،٢٣٦،٢٣٨،٢٤٠،٢٤٣،٢٤٥،٢٨١،٣٥٨ ٣٦٠،٣٦٣،٣٦٧،٣٦٩،٣٧٢،٣٧٧،٣٧٩، ٣٨٠،٣٨١،٣٨٦. ومن حسن الحظ قام أحد الفضلاء الإيرانيين، الاستاذ حميد محمّدي بتنقيح هذا ال﴿تاب وإعداده من جديد مورداً آيات القرآن منسوبة إلي الله سبحانه مع زيادة شواهد من الحديث النبوي الشريف والمأثور عن الإمام علي عليه السلام؛ طبع ال﴿تاب الطبعة الرابعة في قم مؤسسة انتشارات

دار العلم سنة١٤٢٦هـ).

ويعدّ من هذه المؤلفات ما ألّفه السفير أنطوان الدحداح تحت عنوان معجم الإعراب في النحو العربي و معجم قواعد العربية العالمية، ومعجم تصريف الأفعال لأنّها من منشورات مكتبة لبنان، فقد أعرف المؤلف هذه الكتب من الشواهد القرآنية ممّا يدلّ علي تعصبّه للعربيّة مجزّأة عن القرآن وشواهده البيّنة الباهرة.

ومن الكتب المؤلّفة في مجال اللغة المفرغة من الشواهد القرآنية معجم «المنجد» تأليف لوييس معلوف الّذي نال شهرة واسعة في الأوساط الأدبية وقد طبعت طبعات عدّة في المطبعة الكاثوليكية في بيروت، فقد أخلي المؤلّف المعجم المذكور من أيّ شاهد قرآني.

ومن هذه المعاجم معجم «البستان» تأليف عبدالله البستاني فإنّه قلّما أتي بشاهد من القرآن في الموادّ اللغوية وإن أتي بشاهد من القرآن أتي به دون نسبة، كما يقول في مادّة«زرب» كـ وزرابيٌّ مبثوثة﴿الغاشية٨٨: ١٦﴾ أي مبسوطة(البستان، ج١، مادّة زرب).

وقد اتبع هذا المنهج جبران مسعود في معجم «الرائد» والعلائلي في معجم «المرجع» فلا طوجد في هذين المعجمين شاهد من القرآن لإثبات الموادّ اللغوية.

وأمّا الفريق الثاني: وهم الّذين حرصوا علي حفظ اللغة العربية من جهة أنّها لغة القرآن الكريم، فمن المؤلفين منهم في الصرف والنحو يمكن أن نشير إلي الاستاذ الشيخ مصطفي الغلاييني، فقد أكثر ما استطاع تحلية كتابه«جامع الدروس العربية» بالشواهد القرانية، وفيما يلي نماذج منها.

في البحث عن مجيء«ظنّ» بمعني اليقين يقول: «تكون«أي أفعال الظّن» لليقين كقوله تعالي:﴿ وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلّا إليه﴾التوبة٩: ١١٨﴿(جامع الدروس العربية، ج١، ص٣٨).

و في البحث عن تمام «كان» يقول: ومن تمم هذه الأفعال قوله تعالي:﴿ إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾يس٣٦: ٨٢﴿(جامع الدروس العربية، ج٢، ص٢٨٠﴾. وكذلك توجدُ شواهدُ كثيرة من القرآن في الموضوعات المختلفة النحوية في أجزائه الثلاثة.

(راجع للاستشهاد بالآي القرآنية جامع الدروس العربية ج٣،ص٢٠، وص٢٦، ومواضع أخري في هذا الجزء وفي باقي الأجزاء).

ومن المؤلفين من هذا الفريق يمكن أن نُشير إلي إبراهيم أنيس وزملائه، فقد اهتمّوا ما استطاعوا بذكر الشواهد القرآنية في معجم «معجم الوسيط» في الموادّ اللغوية المختلفة، منها:

في مادّة «ثني» ج١، ص١٠١ جاء:«المثني الآيات الّتي تتلي وتتكرّر». وفي التنزيل العزيز:﴿اللّه نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم﴾الزّمر٣٩: الآية٢٣﴿.

وفي مادّة «حنذ» ج١،ص٢٠٦ ورد:«الحنيذ: الماء الساخن. و- مايُغسلُ به من خطمي ونحوه. – والذي يقطرُ دهنه. و- المشوي. وفي التنزيل العزيز:﴿قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾هود١١: ٦٩﴿.

وبين الفريقين المتعصّبين للغة العربية دون العناية بالقرآن الكريم والمستمسكين بالتنزيل العزيز في تأليفاتهم اللغوية والأدبية، هنا فريق ثالث مستمسك بالقرآن والسنبة في حين أنّهم لم يغفلوا عن إيراد ما حدث في اللغة والأدب من مئات المصطلحات الحديثة والتكنولوجية في مؤلّفاتهم ومعاجمهم: فمن النحويين المنتهجين هذا المنهج يمكن أن نذكر:الاستاذ عباس حسن في تأليفه كتاب «النحو الوافي» فإنّه مع عنايته البالغة بالشواهد العصرية من الشعر والنثر لم يغفل عن الإتيان بالشواهد القرآنية منها:

في البحث عن صلة الموصول يستشهدُ بقوله تعالي: ﴿فأوحي إلي عبده ما أوحي﴾النجم١٠:٥٣﴿ (النحو الوافي، ج١، ص٣٣٩).

و في البحث عن جزم المضارع في جواب الأمر والترجّي يستشهدُ بقوله تعالي: ﴿هل أدلّكم علي تجارة تُنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتُجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنّات..﴾الصف٦١: ١٠﴿(النحو الوافي، ج٤، ص٣٧٤).

وكذلك انتهج هذا المنهج الاستاذ إميل بديع يعقوب في كتابه «معجم الإعراب» فقد استشهد بآي القرآن المباركة في الموضوعات النحوية المختلفة منها قوله في البحث عن بدل

الاشتمال :« وهو أي بدل الاشتمال بدل البعض من الكلّ لا بُدّ من اتّصاله بضمير يعود للمُبدل منه مذكور كقوله تعالي: يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه البقرة٢: ٢١٧، ومقدّر كقوله تعالي: قُتل أصحاب الأخدود النّار ذات الوقود البروج٤:٤٠-٥(معجم الإعراب، ص١٧).

ومن المؤلفين في اللّغة الّذين سلكوا هذا المنهج يمكن أن نسمّي: الأستاذ بطرس البستاني فإنّ معجمه المسمّي ب»محيط المحيط لا يخلو هنا و هناك في الموادّ اللغوية المختلفة من بعض الشواهد القرآنية ؛ مثل قوله في مادّة «زرب»:

«الزرابيّ»: النمارق والبُسُط، أو كلّ ما بسط وتكّي، الواحد:»زُربيّ» و»زِربيّ» ومنه في السورة الغاشية ونمارقُ مصفوفة وزرابيُّ مبثوثة الغاشية٨٨: ١٥-١٦ (محيط المحيط، ج١، ص٨٦١).

ومنهم سعيد الخوري الشرتوني في معجم «أقرب الموارد» فلا يخلو هذا المعجم أيضاً من الشواهد القرآنية ، منها: استشهاده في مادّة حصحص(ج١،ص٢٠٠) بقوله تعالي: قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق يوسف٥١:١٢.

فإذا طالعنا الكتب المؤلّفة في الصرف والنحو واللّغة بأقلام الأدباء المعاصرين رأينا أنّها لا تخلو من هذه الأقسام الثلاثة: إمّا فارغة من أيّ شاهد قرآني، ومشحونة بالشواهد القديمة والحديثة من الشعر والنثر والأمثالف وإمّا غالبة عليها الشواهد القرآنية، وإمّا متوسطة بين هذا وذاك. ولعلّ النماذج المذكورة في الصرف والنحو واللّغة ساعدتنا علي الحصول علي نتيجة هذا البحث ما يلي:

نتيجة البحث:

علي كافّة الأدباء والفضلاء واللغويين من الأمّة العربية والأمم الإسلامية الأخري وأعضاء هيآت المجامع اللغوية أن يزيدوا عنايتهم واهتمامهم بالقرآن بإيراد الشواهد منه في مؤلّفاتهم اللغوية والأدبية ويحفظوا بهذا الاهتمام والعناية ما لهذا الكتاب المعجز من حقّ علي اللغة العربية والأمّة الإسلامية جمعاء.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أنيس إبراهيم وزملاؤه. المعجم الوسيط،٢ج. مصر: دارالمعارف،١٣٩٢هـ/١٩٧٣م.
- بديع يعقوب، إميل. معجم الإعراب، ٢ج. لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- البستاني، بطرس. محيط المحيط. د.ت. د.م
- البستاني، عبد الله. البستان،٢ج. بيروت: اللمطبعة الاميرکانية،١٩٢٧م.
- جبران، مسعود. الرّائد، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٧م.
- حسن، عبّاس. النحو الوافي، ٤ج. مصر: دارالمعارف، ١٩٦٦م.
- الخوري الشرتوني، سعيد. أقرب الموارد،٣ج. د.ت. م.ت.
- الدحداح، أنطوان. معجم الأفعال العربية. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٥م.
- معجم الإعراب في النحو العربي. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٦٦م.
- معجم قواعد العربية العالمية، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٦٦م.

رشيد الشرتوني. مبادئ العربية، ٤ج. بيروت: المطبعة الكاثوليكية. د.ت.

- . ج٤، تنقيح وإعداد: حميد المحمدي، قسم الصرف.ط١٠.قم: دار الذكر للتحقيق والنشر،١٤٢٤هـ.
- ج٤، تنقيح وإعداد: حميد المحمدي، قسم النحو، ط٢٤، قم: مؤسسة انتشارات دار العلم، ١٤٢٦هـ.
- العلائلي، عبد الله. المرجع، بيروت: دار المرجع العربي، ١٩٦٣م.
- الغلاييني، الشيخ مصطفي. جامع الدروس العربية،٣ج، بيروت: المكتبة العصرية، ١٣٨٨هـ.١٩٦٨م.
- معلوف اليسوعي، لويس. المنجد. بيروت: المكتبة الكاثوليكية، د.ت.

الدوريّات:

التمكين في اللغة العربية. مجلّة مجمع اللغة العربية. محمود السيّد. فصليّة محكّمة. دمشق، العدد ٨٣، الجزء٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٣٠١-٣٢٨